وصف الصحابة رضي الله عنهم في خاتمة سورة الفتح دراسة بلاغية

د . عمار غانم محمد المولى

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السني

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٣/٨ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/٤/١٧)

ملخص البحث:

إن مجيئ الموسوم بـ (وصف الصحابة رضي الله عنهم في خاتمة سورة الفتح دراسة بلاغية) تناول التحليل البلاغي للجماليات الفنية المعجزة في هذه الآية، بسبكها وانسجامها ودراستها بمنهجية حية بشكل يبين أهداف الأساليب البلاغية ودلالاتها الثانية في إطار لوحة النص ونظمه ، وقد هدف البحث أيضاً إلى تجلية الصورة المركزة التي صيغت بها أوصاف الصحابة في التوراة والإنجيل في هذه الآية التي فيها بيان صريح لجميل البشري للأمم السابقة بأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وهجرهم الأخ والقرب وثبوا في سبيل الله تعالى .

وقد أفاد البحث من التفسير القرآني الزاخرة بجواهر المعاني بما جعل طريقته ميسوراً ممهداً- وإن ألفت على عاقته محاولة صعبة لإضافة جديد على مستوى الطرح والتحليل- وعلى رأسها تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير نظم الدرر للبقاعي .

وقد قسمت البحث إلى مبحثين: الأول بعنوان: التعبير القرآني عن الوصف التوراتي للصحابة، والثاني بعنوان: التعبير القرآني عن الوصف الإنجيلي للصحابة ثم قفوت

ذلك بخاتمة تضمنت أهم النتائج .

Abstract:

My research, which is entitled to describe the companions of the Prophet Muhammad May Allah be pleased with them in the final verse of the Surat al-Fath is a rhetorical study that dealt with the rhetorical analysis of the miraculous artistic aesthetics in this verse, because of its logic and harmony and its study with a living methodology in a way that shows the objectives of the rhetorical methods and their second implications in the framework of the text and its systems. To the embodiment of the concentrated image in which the descriptions of the Companions were formulated in the Torah and the Gospel in this verse, in which there is an explicit statement by Beautiful human beings to the former nations of his companions, may Allah bless him and his family and those who were driven out of their homes and money and abandoned by brother and relative and established in the way of Allaah. The research has benefited from the Quranic interpretations of the meanings of the meanings, which made its way easy, even if it was a difficult attempt to add a new level of subtraction and analysis, especially the interpretation of the interpretation and enlightenment of Ibn Ashour. The research was divided into two sections: the first is: the Quranic expression of the biblical description of the Companions; the second is the Quranic expression of the biblical description of the Companions.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بصورة جامدة وكأنها مرادة لذاتها بل جاءت بشكل يبين أهداف الأساليب البلاغية ودلالاتها الثانية في إطار لوحة النص ونظمه ، وذلك أن نبض حياة الأساليب البلاغية إنما ينبع من روح النص ونسيجه المتفاعل ، وقد هدف البحث أيضاً إلى تجلية الصورة المركزة التي صيغت بها أوصاف الصحابة في التوراة والإنجيل في هذه الآية التي فيها بيان صريح لجميل البشرى للأمم السابقة بأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وهجرهم الأخ والقريب وثبتوا في سبيل الله تعالى، وبذلك استحقوا أن يجعلهم الله تعالى في موقع القدوة لأتباع الرسل و للصلحين المصلحين على مر التاريخ، ومن عظمة تكريمه تعالى للصحابة رضوان الله عليهم أن خصّوا في التوراة والإنجيل بهذه الصفات الجليلة بشرى للمؤمنين كما بشر عيسى عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ورد على لسانه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِّنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلِ يَّاتِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦﴾

﴿ (الصف/٦) .

وقد كان اختيار البحث عناوين مضمونية للمباحث يندرج تحتها التحليل البلاغي للآية من بدايتها إلى نهايتها نابعاً من

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُۥ اَشِدَّاءُ عَلٰى الْكٰفِرِيْنَ رُحَمَآءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانًا سِيْمَاهُمْ فِيْ وُجُوْهِهِمْ مِّنْ اَثْرِ السُّجُوْدِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْاِنْجِيْلِ كَرۜجٍ اَخۜرَجَ شَطۜطُهُۥ فَتَازَرُوْهُ فَاسْتَعَلَّظَ فَاَسْتَوٰى عَلٰى سُوۜقَيْهِ يُعۜجِبُ الزُّرَّاعَ لِيۜغِيۜظَ بِهِمُ الْكٰفِرِيۜنَّ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّٰلِحٰتِ مِنْهُم مَّغۜفِرَةً وَّاَجْرًا عَظِيۜمًا ﴿٦٩﴾ ﴿ الفتح

٢٩

المقدمة

الحمد لله الذي أتم نعمته على المؤمنين وأسبغها عليهم ظاهرة و باطنة وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين الذين نصر الله تعالى بهم الدين فرفعوا لوائه في العالمين وبعد:

فإن مجيئي الموسوم بـ (وصف الصحابة رضي الله عنهم في خاتمة سورة الفتح دراسة بلاغية) تناول التحليل البلاغي للجماليات الفنية المعجزة في هذه الآية والأساليب التعبيرية المبهرة فيها بسبكها وانسجامها ودراستها بمنهجية حية تتعد عن عرض الفنون البلاغية

بادئ ذي بدء من المناسب أن يعطي البحث صورة إجمالية تبين ملامح الآية الخاتمة لسورة الفتح - قبل البدء بالتحليل البلاغي للآية - من حيثيتين : الأولى : الأساليب البلاغية والجماليات التعبيرية العامة الواردة فيها لتكون مركز اهتمام المتلقي، والثانية: سياقها الحالي حتى يلامس المتلقي جو الآية ويتصور المعاني من جميع أطرافها ، فيكون الطريق أمام التحليل البلاغي ممهداً قاصداً للدخول في أعماق الوصفين التوراتي والإنجيلي للصحابة الواردين في القرآن الكريم وأسرارهما ، فأما الأولى: فقد ورد في هذه الآية من أساليب علم المعاني: إيجاز القصر، والتقديم والتأخير، والخبر الابتدائي، وجماليات دلالات الجملة الفعلية والأسمية، والفصل والوصل ، والإلتفات ، فضلاً عن دقة النظم الكريم في استعمال الكلمات والصيغ الصرفية ، وفي نطاق علم البيان فقد جاء التشبيه التمثيلي ، والاستعارة، والجاز المرسل، والكناية، وفي إطار علم البديع ، فقد جاء أسلوب الطباق، والمقابلة، وحسن الابتداء والانتها ، فضلاً عن إيقاع الكلمات ومدودها وجرس حروفها المتناسق مع المعاني في الآية الكريمة، أما الثانية المتمثلة بملامح الآية الكريمة من حيث أجواءها السياقية الحالية بأحداثها ومواقفها ومكان نزولها وزمانها ، فهذه السورة مدنية، نزلت في السنة السادسة من الهجرة في طريق رجوعه صلى الله

استشفاف مسار الآية السياقي ، وابتعاداً عن التجزيء الذي يذهب بهاء الأساليب البلاغية والرؤية التكاملية لها، فضلاً عن التكرار الممل، وانطلاقاً بالبحث من الكل إلى الجزء، لأنه أجدى في التحليل الذوقي للآية، واستجلاء مراميها .

وقد أفاد البحث من التفاسير القرآنية الزاخرة بجواهر المعاني بما جعل طريقه ميسوراً ممهداً - وإن ألفت على عاتقه محاولة صعبة لإضافة جديد على مستوى الطرح والتحليل - وعلى رأسها تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير نظم الدرر للبقاعي .

وقد قسمت البحث إلى مبحثين: الأول بعنوان: التعبير القرآني عن الوصف التوراتي للصحابة، والثاني بعنوان: التعبير القرآني عن الوصف الإنجيلي للصحابة ثم قفوت ذلك بجائمة تضمنت أهم النتائج .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون مقبلاً عنده تعالى ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الأول:

التعبير القرآني عن الوصف التوراتي للصحابة رضي الله عنهم

المبحث الأول: التعبير القرآني عن الوصف التوراتي

للصحابة

أخرى نجد الآية تمثل أحسن ختام يلخص محورها وينسجم معنويًا مع مطلعها الدائر حول تحقيق موعود الله تعالى لرسوله وإمداده بنصره والرضوان لصحابته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ﴾ (الفتح/١-٤) ، ومن جمال ذلك الختام الأحسن أنها كانت في ختام سورة جاءت في ختام القرآن المطول تحدثت عن بشارات نصر الله تعالى للمؤمنين وبذلك انسجمت مع ختم القرآن المفصل بذلك أيضًا^(٣) ، وأنه تحقق فيه أعلى خصال الجمال والجلال من عذوبة الألفاظ ، وحسن السبك ، وإتقان النظم وإحكامه ، لتبقى لذته في الأسماع مُؤذناً بالانتهاء ، بحيث لا يبقى تشوقاً إلى ما وراءه^(٤) ، فضلاً عن كونه واضح الدلالة بدون غبش أو خفاء ، ف(في صريح الآية من القوة المعزة للمؤمنين المذلة للكافرين رد مقطوعها على مطلعها بالفتح للنبي (صلى الله عليه وسلم) والتسكين العظيم لأصحابه

عليه وسلم من مكة إلى المدينة، عقب منع قريش له ولأصحابه من دخول مكة لأداء مناسك العمرة بعد ست سنين من صدِّ قريش لهم عنه وما تلاه من التهيؤ للحرب بينهما والبيعة على الموت في ما سمي بيعة الرضوان ثم الاتفاق بين الطرفين في صلح الحديبية وضيق قسم من الصحابة ، وذلك لحبهم الشديد لكسر شوكة قريش التي حادت وصدت عن سبيل الله وتعدت كل الحدود^(١) ، ف(هذا هو الجو الذي نزلت فيه السورة . الجو الذي اطمانت فيه نفس الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى إلهام ربه، فتجرد من كل إرادة إلا ما يوحيه هذا الإلهام العلوي الصادق ومضى يستلهم هذا الإيجاء في كل خطوة وفي كل حركة، لا يستغزه عنه مستغز، سواء من المشركين أو من أصحابه الذين لم تظمن نفوسهم في أول الأمر لقبول استغزاز المشركين وحميتهم الجاهلية . ثم أنزل الله السكينة في قلوبهم، ففأوا إلى الرضى واليقين والقبول الخالص العميق كإخوانهم الذين كانوا على هذه الحال منذ أول الأمر)^(٢) ، ومن هنا جاء أيضاً المدح للصحابة في الآية الخاتمة للسورة تطميناً لهم وتبشيراً، ومن ناحية

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشليبي، ٢/٣١٨ وما بعدها .

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٣١٢ .

(٣) ينظر: نظم الدرر، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ٧/٢١٩ .

(٤) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن

حمزة بن علي بن إبراهيم (ت ٧٤٩هـ)، ٣/١٠٤ .

وشرائعه وشعائره وتلاحمهم لنصرته بصورة منظورة متألفة تشع بالدلالات المتنوعة المعبرة بدقة متناهية عن معاني الصدق مع الله تعالى والثبات مع رسوله صلى الله عليه وسلم مهما بُهِّضَت التضحيات أو ثقلت التكليف، ((إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه . صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة، حالاتها الظاهرة والمضمرة... والمؤمنون لهم حالات شتى. ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة في حياتهم، ونقط الارتكاز الأصيلة في هذه الحياة. وتبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة في الصور الوضيئة، وإرادة التكريم واضحة في اختيار هذه اللقطات، وثبتت الملامح والسمات التي تصورها))^(٨)، فقد صاغت هذه الآية الكريمة صورة مُبَشِّرَة باهرة عبَّرت ابتداءً عن سمات الصحابة رضوان الله عليهم ولامح شخصيتهم التي تجمع بين صدق الاقتداء العملي بنبيهم ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم والإلتزام لأحكام الحق وشعائره وشرائعه ونصرته بتوازن يضع كل أمر في ميزانه ووقته في وصفهم التوراتي الوارد في التعبير القرآني، في حين صَوَّر الوصف الإنجيلي الوارد في القرآن انتهاءً بأحوال مجتمعتهم النامي بسرعة متزايدة لا يقف لها شيء، بتعاون وثبات على المبدأ منقطع النظير، فهي صورة تملأ النفس بالثقة

رضي الله عنهم ، والرحمة والمغفرة والفوز العظيم لجميع أتباعه وأنصاره وأشياعه رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وجعلنا بمنه وكرمه منهم))^(٥) .

وفي هذه الآية الكريمة بيان إلهي جليل ناصح الوضوح وموجز الأداء بكل ما يحمله أسلوب إيجاز القصر من جمال سعة المعاني وحلاوة اشتياق التنقل بينها، إذ ((لا يخفى أنه كلما كان مجال مسار الذهن بين المعاني المتغايرة المتمايزة، كان الذهن أنشط، ولطلب المزيد أسعى، ومن الملل والسامة أبعده؛ لأن الذهن عندئذ يعالج المتجدد دوماً، ويلتقي مع الطريبي الشهي أبدأ))^(٦)، وإنك لتقرأ هذه الآية، ((فتجد في أفاظها من الشفوف، والملاسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعارة حديث كأنك لا تسمع كلاماً أو لغات بل ترى صوراً وحقائق ماثلة... كأنها هي نص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعاً؛ فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرك بألوان الطيف كلها))^(٧)؛ إذ يبرز هذا البيان الرباني مبادئ الحق وقوته وسرعة انتشاره وصدق الصحابة رضوان الله عليهم في إتباع أحكامه

(٥) نظم الدرر، ٢١٩/٧.

(٦) ثراء المعنى في القرآن الكريم، محمد خليل جيجك، ٩٤.

(٧) م. ن. ١٥١ - ١٥٢.

(٨) في ظلال القرآن، ٣٣٣١/٦.

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾
(الفتح/ ٢٨) ، لأنها جملة استئنافية مفصلة عما قبلها بحذف
الواو ، وتجيء هي وما بعدها في موضع جواب عن سؤال مقدر
وموقع تفصيل لشهادته تعالى على صدق الرسالة وانتصار الحق في
قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ، إذ إن جمالية جملة
الاستئناس تنبثق من كونه ((يجعل المخاطب مترقباً متلهفاً لمعرفة
الغموض الذي أحدثته الجملة الأولى، فهي غير واضحة تماماً بل
تحدث تساؤلات واستفسارات في نفس المتلقي وتجذبه وتشركه في
الصياغة حتى تأتي الجملة الثانية لتجيب عن السؤال))^(١١)، وقد
جاءت بلا مؤكديات لتزليل المنكر فيها (الكفار) منزلة خالي الذهن
تعريضاً بشدة غفلتهم عن هذه الحقيقة الكبرى رغم عظمة أدلتها
وظهور علاماتها الباهرة، فإنه تعالى في الآيات السابقة ((لما بين
صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم) في رؤياه واطمأنت نفوس
المؤمنين أعقب ذلك بتنويه شأن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
والثناء على المؤمنين الذين معه))^(١٢)، ولما ختم سبحانه الآية
السابقة بقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ المتضمنة بإجمال

والأمل بانتصار الحق دوماً ، وبذلك تنامت هذه الصورة المتألقة
بشكل سلس منسب مستقطبة لأهم خصائصهم الفردية والاجتماعية
بإيجاز مكثفٍ موجٍ .

وعند التفحص لأسلوب القرآن المعبر عن الوصف التوراتي
الوارد في القرآن نجد في الابتداء الحسن للآية بأعظم شهادة لأعظم
بشر مشهود له متمثلاً بقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ تنويه
إلى عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى وتسلياً له
أمام تكذيب قومه له ورد على إنكار سهيل بن عمرو ومن وراءه
من المشركين لإثبات صفة الرسالة في صحيفة صلح الحديبية،
ولذلك جبهت الآية الكريمة المشركين باسمه صلى الله عليه وسلم في
البدئية و لم تأت العبارة القرآنية بتقديم اسم الجلالة كأن يقال فَرَضًا:
(الله رسوله محمد)^(٩)، وفي الابتداء بهذه العبارة أيضاً من حسن
المعاني بالأداء البلاغي الراقي ما فيه ، إذ جاء بصيغة الجملة
الاسمية الدالة على الثبات^(١٠)، إمعاناً في إثبات صدق رسالته صلى
الله عليه وسلم رداً على إمعانهم في رفض رسالته وصددهم
عنها، وجاءت متناسبة تمام التناسب مع ما قبلها من قوله تعالى: ﴿

(٩) ينظر: في ظلال القرآن، ٦/٣٣١

(١٠) ينظر : مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي

السكاكي، (ت:٦٢٦هـ)، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، ١/٢١٨ .

(١١) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجيوسي، ٣٣٩

(١٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٢٦/٢٠٢

، فذهب إلى أن ((محمد : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو محمد يعود هذا الضمير المحذوف على قوله : (رسوله) (الفتح : ٢٨) في الآية قبلها ، وهذا من حذف المسند الذي وصفه السكاكي بالحذف الذي الاستعمال وارد على ترك المسند إليه وترك نظائره قال التفازاني في (المطول) : (ومنه قولهم بعد أن يذكروا رجلاً : قتي من شأنه كذا وكذا ، وهو أن يذكروا الديار أو المنازل ربع كذا وكذا))^(١٥) ، وإنما رجح اعتبار المبتدأ محذوفاً والخبر الاسم الشريف (محمد) و(رسول الله) عطف بيان أو نعت أو بدل على اعتبار الاسم الشريف (محمد) مبتدأ والخبر (رسول الله) برغم كونه احتمالاً قوياً دل عليه سياق المقال والموقف حينما عارض الكفار إثبات صفة الرسالة في الصحيفة^(١٦) ، لأنه يتضمن الاحتمال الأول وزيادة، فهو يؤسس لمعنى جديد والتأسيس أولى من التأكيد ، ولأن مدار السياق أدل على الاحتمال الأول ((إذ ليس المقصود إفادة أن محمداً رسول الله وإنما المقصود بيان رسول الله من هو بعد أن أجرى عليه من الأخبار من قوله : ﴿ لَقَدْ

لكفاية شهادته على أي شيء ومن ذلك صدق رسوله وعظمة الهدى الذي بعث به ناسب ذلك الشهادة له تفصيلاً وتصريحاً بإثبات الرسالة الشاملة له ، ((فهو الرسول الذي لا رسول يساويه ، لأنه رسول إلى جميع الخلق ممن أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه ، وقد أخذ على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه ، وأخذ ذلك الأنبياء على أمهم))^(١٣) ، وقد تفاعل الاختلاف في الوجهة الإعرابية مع النواحي الذوقية البلاغية بما أتج ثراءً معنوياً ، فالراجح والأقوى إعرابياً كون الاسم الشريف (محمد) مبتدأ وخبره (رسول الله) ، ويؤيده أن الأصل عدم الحذف ويؤيده سياق المقال السابق الذي يتحدث عن كون الرسول صلى الله عليه وسلم على حق وأنه مرسل من الله تعالى ، فأكد ذلك بقوله : (محمد رسول الله) ، ويؤيده سياق الموقف أيضاً ، فحينما عارض الكفار إثبات صفة الرسالة في الصحيفة ناسب ذلك قوة الرد بإثبات رسالته صلى الله عليه وسلم^(١٤) ، ورجح ابن عاشور وجهة إعرابية أخرى

(١٥) التحرير والتنوير ، ٢٦ / ٢٠٢

(١٦) ينظر البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت: ٧٥٤هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ٩ / ٥٠٠ ، التحرير والتنوير ، ٢٦ / ٢٠٣

(١٣) نظم الدرر ، ٧ / ٢١٤

(١٤) ينظر البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت: ٧٥٤هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ٩ / ٥٠٠ ، التحرير والتنوير ، ٢٦ / ٢٠٣

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

انتقالاً رشيقاً إلى وصف الصحابة رضوان الله عليهم في التوراة والإنجيل بواو العطف إشارة إلى أنه تعالى قد أيده بخير الأنصار على وجه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن هذا النصر وتزايد المبهر بعد ذلك سيحقق بنصرته تعالى للرسول بهؤلاء الأوصحاب الأبرار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ الأنفال/٦٢ ﴾ ، فقوله تعالى: ﴿ مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ﴿١٤﴾ بيان لصديق الرسالة، وبعد ذلك فإن في هذه العبارة جمالاً في وقع جرسها في الأذن يسند معناها ، فمن ناحية ابتداء الأسلوب القرآني أول الآية باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم و((اسم محمد مكون من أحرف حلقية وشفوية سهلة المخارج والنطق كما أن فيه مواضع تشديد ويلبها راحة والعكس كقول : محم . . . د مما يعطي شعوراً بالفضضة وعدم التثاقل في ذكر اسمه ، اسم محمد لا يحتوي على أي حرف من الحروف التي تظهر بها مظاهر العيب الكلامي مثل اللدغ في القول واللسان وطريقة النطق بالأحرف (السين واللام والراء والجيم وغيرها))^(١٧) ، وما يؤكد ذلك أننا ((إذا نظرنا إلى أسماء الأنبياء الخمسة والعشرين

صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُولَ بِالْحَقِّ ﴿١٥﴾ ﴿ من الفتح : ٢٧ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ﴿ من الفتح : ٢٨ ﴾ ، فيعد السامع كالمشتاق إلى بيان : مَنْ هذا الْمُتَحَدِّثُ عنه بهذه الأخبار ؟ فيقال له : محمد رسول الله ، أي هو محمد رسول الله . وهذا من العناية والاهتمام بذكر مناقبه (صلى الله عليه وسلم) ، فتعتبر الجملة المحذوف مبتدؤها مستأنفة استئنافاً بيانياً . وفيه وجوه آخر لا تحفى ، والأحسن منها هذا))^(١٧) ، ومن هذه الوجوه أيضاً اعتبار (محمد) مبتدأ ، و(رسول الله) صفة أو عطف بيان أو بدل ، و(الذين معه) معطوف على (محمد) و(أشداء على الكفار رحماء بينهم) خبر أول وخبر ثانٍ وعلى هذا يكون الاشتراك في هاتين الصفتين بين الرسول والصحابة بالنص المباشر^(١٨) ، وفي حقيقة الأمر لا حاجة أصلاً لهذا التوجيه المتكلف، لأن من البديهي أن ما ثبت للصحابة من صفات الحق فالرسول به أولى، لأنه هو قدوتهم الأولى ومربيهم العظيم، ثم إن القرائن السياقية تشير إلى أن الكلام كان يدور حول الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور دينه ونصرته تعالى له ثم تبعاً لذلك انتقل

^(١٧) (التحرير والتوير، ٢٦/٢٠٣، وينظر مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر

التميمي الرازي(ت:٥٦٠هـ) ، ٢٨/٨٨

^(١٨) ينظر مفاتيح الغيب، ٢٨/٨٨

^(١٩) إعجاز اسم النبي محمد ، يحيى بوشیخة، ١ ، موقع المنار

<https://almnnaar.co.il/?mod=print&ID=1849>

الراسخ مع منهجه الرباني الذي بشر به برغم حرب قريش لهم ،ولذلك قدمت شدة الصحابة على الكفار الظالمين على رحمتهم بينهم ،لأن جوَّ السورة وسياقها يدور حول نصره الحق التي تحتاج الشدة، فرهان الكفار على تخليهم عن الرسول المصطفى عبر الترغيب والترهيب رهان خاسر لا محالة ،وليس في اختيار التعبير القرآني(والذين معه) للاسم الموصول المختص بالجمع المذكور غضاضة على النساء اللاتي سبقن كثيراً من الرجال وهاجرن ونصرن،لأن الأصل أن التعبير بالمذكر للتغليب إيجازاً واختصاراً إلا إذا أريد ذكر شيء مختص بالنساء^(٢٢) ،و في صلة الموصول المعهودة المحددة لكفار قريش دلالة على امتياز أصحابه بـ((المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد كقوله تعالى: (وقال الله إني معكم)، والمراد: أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية وإن كانوا هم المقصود ابتداءً))^(٢٣) ، والظرفية الزمانية والمكانية المطلقة في (معه) تدل على ثباتهم على دين الحق ونصرة الرسول على مدى الحياة

المذكورين في القرآن الكريم خاصة وأسماء الأنبياء عامة نجد أن اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي لا يحتوي على أي حرف مدٍّ أو علةً ((^(٢٤)، ومما يلفت الانتباه تكرار حرف الميم تسعة عشرة مرة عدا عدد حرف الميم في اسمه صلى الله عليه وسلم ،وربما فيه إشارة تحدي للمشركين الكارهين لاسمه الشريف يجعل حرف الميم يتردد بهذه الكثرة في أرجاء الآية فضلاً عن خفة هذا الحرف في النطق بما يعطي دافعية في سلاسة الأداء الصوتي ،ومن ناحية أخرى فإنه بعد الابتداء باسمه الشريف نلاحظ انطلاق جو مفعم بالبهاء والتبجيل والتوقير يشيع في هذه الآية صوتياً بشكل منسجم مع السياق المعنوي الدائر حول ذلك أيضاً تلمسه ابتداء في الامتداد الصوتي لاسم الجلالة(الله) عند الوقف عليه مع تفخيم اللام في اسم الجلالة علاوة على ما يشككه الوقف على حرف الهمس(هاء) الذي يجري معه النفس وهو أيضاً حرف مخرجه عميق من أقصى الحلق^(٢٥) من تحقيق لكمال التفخيم الصوتي المطلوب تعظيماً لرسول الله بتعظيم الله عز وجل الذي أرسله . ثم إن في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^ط بياناً لعمق نصره أصحابه له وصدقهم

(٢٢) ينظر:الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان الشهرير بسبويه(ت١٨٠هـ)،تحقيق عبد السلام محمد هارون،٢٢/١،تغليب المذكر على المؤنث في الخطاب القرآني دراسة في شبهة تمييز الرجل على المرأة،محمد أبو زيد،ملتقى أهل

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

فيه خير البشر في الدنيا والآخرة، ومع المؤمنين كالوالد مع الولد حفاظاً على حقوقهم ووحدتهم^(٢٦) .

ولابدّ من الإشارة إلى أجواء التضحية و الأخوة و أزمة مواجهة الأهل في سبيل الله تعالى التي عاشها الصحابة رضوان الله عليهم وهم يدافعون عن الحق وعوامل هذا الثبات، فهم رضوان الله عليهم ((أشداء على الكفار ولو كان فيهم الآباء والقرابة والأبناء، رحماء بينهم، وهذه الأخوة في الحق، أخوة في الدين، إن الأخوة في الله من أهم الأسباب التي تعمل على الصمود في وجه أعتى المحن التي تنزل بالمسلمين، كما أن الفهم المتبادل والكامل للأخوة في الله من أسباب تماسك صفوف المسلمين وقوتهم، ومن أسباب شموخهم والتمكين لهم، إن النبي - صلى الله عليه وسلم - اعتمد على معاني الأخوة وعمل على تحقيقها وجعلها من الوسائل المهمة في بناء المجتمع الإسلامي))^(٢٧)، وفي ذكر (رحماء) بعد (أشداء) احتراص عن أن يُتوهم بأن مفهوم القيد (على الكفار) غير معتبر، وأن صفة الشدة والصلابة لازمة لهم حتى على المؤمنين، فالاحتراص هنا يمثل الدقة الحساسة للعبارة القرآنية، فقد قطع أي احتمال في توهم نسبة

حتى لو كان نتيجة هذه المعية الموت المحتم، ف(معه) ملزوم أريدت حقيقته مع لازمه وهو ما ذكر من معنى المصاحبة الكاملة بالطاعة من باب الكناية بالموصوف عن الصفة، وفي هذا دلالة جلية على أن من كان مع الرسول صادقاً وهو راضٍ عنه في حياته وينصره في غزواته وفي نشر دينه ومات على الإيمان فإنه سيوفق إلى التوبة عند المعصية، وأن الصحابة لا يجمعون على معصية، وإلا لما مدحوا بهذا المدح الجليل في التوراة والإنجيل، ومدح القوم إنما هو مدح لرئيسهم^(٢٤) .

وقد جاء التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^ص بصيغة الجملة الاسمية أيضاً وجاءت الأخبار (أشداء) و(رحماء) جمع شديد ورحيم بصيغ الصفة المشبهة الدالة على الثبات^(٢٥) إشارة إلى رسوخ هذه الصفات وتشربها في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، فهم مع الكفار كالأسد على فريسته درءاً لمظالمهم وفسادهم وصددهم عما

(٢٤) ينظر: نظم الدرر، ٢١٥/٧

(٢٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف بن أحمد الشهير بابن هشام الأنصاري(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ٧١/١ .

(٢٦) نظم الدرر، ٢١٥/٧

(٢٧) تبصير المؤمنين بفقته النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد محمد الصلابي، ٣١٥/١-٣١٦ .

صاحب نظم الدرر^(٣٠)، وإن كانوا يدخلون ضمناً مع من أسلم بعد صلح الحديبية الذي عدّه القرآن فتحاً أو بعد فتح مكة على خلاف بشرط إحسان الإتياع بدليل قوله تعالى: ﴿ وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿ التوبة / ١٠٠

﴿ ، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَلَا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿ من الحديد / ١٠ .

وإذا تأملنا أسرار المعاني المنطوي عليها أسلوب التقابل بإيقاعه الدلالي الضدي بين الرحمة منبع اللين والشدة والكفار والمؤمنين وما يشكّله من استجابة جمالية مثيرة نجد أن ((في الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم ، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد، فلا تغلب على نفوسهم محمداً دون أخرى

الغائظة على المؤمنين للصحابة وأكد ابتعادهم عنها برغم أن ذلك مفهوم من القيد (على الكفار) ، والاحتراس في هذه الآية كاحتراس في قوله تعالى في وصف الصحابة: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (من المائدة/ ٥٤) (٣٨) ، وفي اختيار الأسلوب القرآني للظرف (بينهم) بدلاً عن (على المؤمنين) في مقابلة ذكر (الكفار) قبله معنى جليل، إذ ((في تعليق رحماء مع ظرف (بين) المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف إليه تنبيه على انبثاق التراحم فيهم جميعاً)) (٣٩) ، والمقصود بالكفار هنا الكفار المعهودين المعتدين الظالمين الحاربين لدين الله تعالى لا أهل الذمة، فالصحابة أرفأ الناس بهم لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتِنُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المتحنة/ ٨) ، ولا يدخل في المقصود (معهم) في هذه الآية التابعون الذين التقوا الصحابة دون الرسول صلى الله عليه وسلم خلافاً لما ذكر

(٣٨) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشهرير بالقزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ٢٠٨/٣، روح المعاني، ٢٧٦/١٣، التحرير والتنوير، ٨٣/١٤.

(٣٩) التحرير والتنوير، ٢٠٥/٢٦.

(٣٠) نظم الدرر، ٢١٧/٧.

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

أشدائهم على الكفار وهو عمر بن الخطاب ، وكان أفهمهم للمصلحة التي توخاها النبي صلى الله عليه وسلم في إبرام الصلح (أبا بكر)) (٣٢) . ويستمر النظم القرآني واصفاً جلال الصحابة بقوله تعالى : ﴿ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ إذ بين الله تعالى هنا السبب الحامل لهم على الوحدة والأخوة والصدق في سبيل الله كما هو مضمون ما قبله دون الاختلاف على رسولهم والشقاق بينهم كما وصف به الأمم السابقة، وذلك أنك ((تراهم أي أيها الناظر لهم (ركعاً سجداً) أي دائمي الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ، فكانت الصلاة آمرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص وضير . ولما كانت الصلاة مما يدخله الرياء ، بين إخلاصهم بقوله : (يبتغون) أي يطلبون بذلك وغيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم (فضلاً) أي زيادة من الخير (من الله) . . . ولما ذكر عبادتهم وطلبهم الزيادة منها ومن غيرها من فضل الله الذي لا يوصل إلى عبادته إلا بمعوته ، أتبعه المطلوب الأولى، فقال : (ورضواناً) أي رضاء منه عظيماً)) (٣٤) ، ويلاحظ

ولا يندفعون إلى العمل بالجبلية وعدم الروية)) (٣١) ، فطبع الصحابة جارٍ مع مقتضيات الإيمان ودائر معه إذ ((الشدة على الكفار: هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح، لأن المؤمنين الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام، فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى المؤمنين إيماناً من أجل إشراق أنوار النبوة على قلوبهم، فلا جرم أن يكونوا أشد على الكفار فإن بين نفوس الفريقين تمام المضادة)) (٣٣)

وقد يتبادر هنا سؤال كيف يكون طبع الصحابة جارٍ مع مقتضى الإيمان وطاعة الرسول وقد حزنوا جداً من عقد المصطفى صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش ؟ فالجواب أنه ((ما كانت كراهيتهم للصلح مع الكفار يوم الحديبية ورغبتهم في قتل أسراهم الذين تفقوهم يوم الحديبية وعفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا من آثار شدتهم على الكفار ولم تكن لاحت لهم المصلحة الراجحة على القتال وعلى القتل التي آثرها النبي صلى الله عليه وسلم . ولذلك كان أكثرهم محاوررة في إباء الصلح يومئذ أشد

(٣٢) م.ن. ٢٠٤/٢٦

(٣٤) نظم الدرر، ٧/٢١٥

(٣١) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٥

(٣٢) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٤

عبر الأجيال ، ولذلك انتقل الأسلوب القرآني من الجمل الاسمية إلى الجملة الفعلية المضارعية (تراهم) الدالة على الحدوث والتجدد دون الجملة الاسمية الدالة على الثبات^(٣٩) لهذه الغاية المقصودة ،(إيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعاً سجداً، وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها وأنهم يتطلبون بذلك رضى الله ورضوانه، وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه)^(٤٠)، وفي قوله تعالى : ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أسرار أخرى ،فقد جاء ((قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ تمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع المرائي وسجوده . . . وفيه إشارة إلى معنى لطيف وهو أن الله تعالى قال :الراعي يبتغي الفضل، ولم يذكر الأجر، لأن الله تعالى إذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلاً وإشارة إلى أن عملكم جاء على ما طلب الله منكم ،لأن الأجرة لا تستحق إلا على العمل الموافق للطلب من المالك والمؤمن إذا قال أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافاً

هنا أن الأسلوب القرآني عبر بالابتغاء بدلاً من الإرادة أو الطلب دلالة على صدق الصحابة، ذلك أن الابتغاء هو الاجتهاد والتعب في طلب الحاجة^(٣٥)، ويلاحظ أيضاً أن الأسلوب القرآني التفت من الغيبة إلى الخطاب تنوعاً في طرق العرض وتفنناً في الحديث، وتلويحاً للخطاب ليكون أشهى للعقل وأطيب للقلب، حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحمللاً له على زيادة الإصغاء^(٣٦)، ففي هذا الالتفات توجيهٌ لذوق التركيز نحو صدق عبادتهم، ثم إن ((الخطاب في تراهم غير معين بل لكل من تنأتى رؤيته إياهم، أي يراهم الرائي))^(٣٧)، والاستمرار الزماني في الفعل المضارع (تراهم) ((استمرار عرفي يجعل الأكثر بمعنى الجميع وإعطائه حكم الكل))^(٣٨)، وكأنه تعالى يريد أن يضع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم والناس أجمعين أمام جمال منظر صدقهم معه ومع الحق تباهاً بهم وتشبيهاً لهم بأن ذكرهم سيخلد

^(٣٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد

الجهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ٦/٢٢١٨-٢٢١٩

^(٣٦) ينظر مفتاح العلوم، ١/٢٠٨ .

^(٣٧) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٥

^(٣٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمد بن

عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية

١٣/٢٧٧

^(٣٩) ينظر: مفتاح العلوم، ١/٢١٨

^(٤٠) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٥

وإحياء ندي يقوي المعنى في نفس المتلقي^(٤٤)، وكان التعبير القرآني يجعل فعل الركوع والسجود ديدنهم الثابت، فهم في صلاة متى سنحت الفرصة وأحب شيء لهم فيها الركوع والسجود، لأن فيهما تمام معاني الخضوع لله تعالى والقرب منه، وفي التعبير يجمع الكثرة (رُكْعًا سَجْدًا) بدلاً من (راكعين ساجدين)، لأن جمع المذكر السالم يدل على اثنين فأكثر، في حين أن جمع الكثرة يدل على عشرة فأكثر، فضلاً عن المبالغة في الإكثار من الصلاة بركوعها وسجودها، وقد أدى أسلوب الفصل بوصفه يمثل في التعبير القرآني (وسيلة من وسائل إبراز الجمال مع غيره من الأساليب . . . متخذاً للإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى، فيعرضه جليلاً لا شركة فيه ولا لبس، ليكون خالصاً بذاته أمام المخاطب، ليتدبره حق التدبر))^(٤٥) دوره المعنوي في إعطاء دلالة اختلاط الشدة والرحمة بالصلاة المبتغى بها وجه الله ورضوانه، فهم في حال شدتهم على عدوهم ورحمتهم بينهم يدأبون في صلاتهم الخالصة لله تعالى لا يشغلهم عنها شيء، وهذا فضلاً عن دوره في خفة وقعه الصوتي المشير لسلاسة

بالتقصير، فقال يُتَعَوَّنَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ أَجْرًا^(٤٦)، ثم إن في أسلوب الطباق في (ركعاً سجداً)، والفصل بجذف الواو بينهما وتقديم الركوع على السجود والحجاز المرسل بإطلاق الجزء (الركوع والسجود الكثيرين) وإرادة الكل (الصلاة المحبوبة لهم) تأدية معاني الكثير المرتب والمتوالي والمنسجم بأفضل أسلوب^(٤٧)، لما في الطباق بين (ركعاً) و(سجداً) من الجمع بين الشيء وضده بما يُضفي على الكلام رونقاً وبهاءً، ويُكسب المعنى حسناً ونبلاً، وهو فوق تشبيته المعنى في النفس يصف الشيء المتحدث عنه إزاء الضدين، ويجعل لكلٍ منهما حسناً لا يكون لهما إذا انفردا، إذ بالضد تمايز الأشياء^(٤٨)، ويعطي تقديم الركوع و الفصل بجذف الواو بينهما جمالاً لحنفة وقعه الصوتي إشعاراً بعدم استئثارهم الصلاة وحبهم لها، ودققاً في المعنى دالاً على حسن صلاتهم وفقههم بأحكامها بإعطاء الركوع حقه وموضعه والسجود حقه وموضعه بترتيب و اعتدال وتوازن، فضلاً عن جمالية التصوير الحجازي المرسل وجاذبيته وشدة إيضاحه للمعاني وتكثيرها وتداعيتها بسرعة بما يثيره من دهشة وتشوق

(٤٤) ينظر: الحجاز وأثره في الدرس اللغوي، د. محمد بدري عبد الجليل، ٢٦،

الحجاز المرسل في القرآن الكريم، علاقاته ودلالاته، ياسر محمد أمين جميل، كلية

الأداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١م، ١٩٩-٢٠٢.

(٤٥) الفصل والوصل في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)، د. منير سلطان، ١٩٣،

(٤٦) مفاتيح الغيب، ٢٦/٨٩

(٤٧) ينظر: روح المعاني، ١٣/٢٧٧

(٤٨) ينظر: مفاتيح العلوم، ١/٤٢٣

وخشوعاً وإخباتاً وخضوعاً ، وإن كان رثَ الحال رديء الهيئة
((٤٧)).

والسِّيمَا لغة العلامة من أثر الشيء^(٤٨) أما في سياقها هذا
فقد ((اختلف في المراد من السِّيمَا التي وصفت بأنها من أثر
السجود على ثلاثة أنحاء الأول: أنها أثر محسوس للسجود، الثاني
أنها من الأثر النفسي للسجود، الثالث أنها أثر يظهر في وجوههم يوم
القيامة . . . وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي بن كعب قال:
قال رسول الله في قوله تعالى: سيماهم في وجوههم من أثر السجود
[الفتح: ٢٩] النور يوم القيامة، قيل وسنده حسن وهو لا يقتضي
تعطيل بقية الاحتمالات إذ كل ذلك من السيمَا المحمودة ولكن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر أعلاها))^(٤٩)، ومن هنا فـ((لا يظن أن من
السِّيمَا ما يصنعه بعض المرائين من هيئة أثر السجود في جبهته))
^(٥٠)، فليس تكلف إيذاء الجبهة لتكون علامة كثرة الصلاة مستحباً

التجرد لله تعالى على نفوسهم والابتغاء من فضله وحده، وجاء
التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
مَنْ أَثَرَ السُّجُودِ﴾ ليشير إلى ثبات علامات عمق الإيمان بسلك
التقوى الذي انعكس عن صدق يقينهم في أنفسهم على سيماء
وجوههم أثراً محسوساً - ((وهذا محقق لمن يعقل ويفرق بين الساهر
في الشرب واللعب، والساهر في الذكر واستفادة العلم،))^(٤٦) ، فإنه
تعالى : ((لما ذكر كثرة عبادتهم وأتبعها إخلاصهم فيها اهتماماً به
، لأنه لا يقبل عملاً بدونه ، دل على كثرتها بقوله : (سيماهم) أي
علامتهم التي لا تفارقهم (في وجوههم) ثم بين العلامة بقوله : (من
أثر السجود)، ففي نور يوم القيامة - رواه الطبراني عن أبي بن
كعب رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا مع
ما لهم من مثل ذلك في الدنيا من أثر الخشوع والهيبه بحيث إنه إذا
رئي أحدهم أورث لرائيه ذكر الله ، وإذا قرأ أورث قراءته حزناً

^(٤٧) نظم الدرر ، ٢١٦/٧، وينظر: الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان
بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:
٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ٣٧٠/١

^(٤٨) ينظر: لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الشهير بابن
منظور (ت: ٧١١هـ)، ٣١٢/١٢

^(٤٩) التحرير والتنوير ، ٢٠٥/٢٦-٢٠٦

^(٥٠) نظم الدرر، ٢١٦/٧

^(٤٦) مراح لبيد لكشف معني القرآن المجيد، محمد بن عمر نوي

الجاوي (١٣١٦هـ)، تحقيق : محمد أمين الصاوي، ٤٣٣/٢، وينظر: مفاتيح

الغيب، ٢٨/ ٨٩

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة . إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر ومن ثم فهي قديمة جاء ذكرها في التوراة: «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ» . . وصفتهم التي عرفهم الله بها في كتاب موسى، وبشر الأرض بها قبل أن يجيئوا إليها))^(٥٤) .

ثم((المثل يطلق على الحالة العجيبة، ويطلق على النظير، أي المشابه فإن كان هنا محمولاً على الحالة العجيبة فالمعنى: أن الصفات المذكورة هي حالهم الموصوف في «التوراة»))^(٥٥)، وعلى كلا الاحتمالين فقد جاء في التوراة ما يشير إلى المعنى الذي ذكره القرآن في وصف الصحابة وإن كان الأول أرجح بدلالة السياق القرآني الذي ذكر صفتهم في التوراة ثم أتبعه ذلك بصفتهم في الإنجيل التي جاء التعبير القرآني عنها على أسلوب التشبيه بالأداة الحرفية (الكاف) بما يدل أن (مثلهم) بمعنى صفتهم العجيبة الدقيقة ، وعوداً على بدء لابد من الإشارة إلى البعد الصوتي الساند لمعاني هذا المثل القرآني والمنسجم معها، إذ نلمح أن الهاء في قوله تعالى:(والذين معه) تشكل بعق مخرجها الحلقي^(٥٦)، ومدّها بسبب همزة (أشداء) فضلاً عن المدّ في (أشداء) و(رحماء) انسجاماً مع معنى

ومما يقرب مما ذكر ويوضحه ما جاء عن الترمذي بإسناده : ((أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، جِئْتَهُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنَتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنْ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ))^(٥١)، فالصدق يظهر في صفحات الوجه ، ولهجة اللسان .

ثم إن الأسلوب القرآني أردف ذلك بعبارة قرآنية جامعة منسلكة مع جمال النظم بهاء الإشارة المحتفية بعظمة الصحابة وجلال صفاتهم تمثلت بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾^(٥٢) ، فإنه تعالى ((لما أتم وصفهم بهذا الأمر الذي لا يقدر عليه أحد إلا من صفاه الله من جميع حظوظه وشهواته ، أشار إلى علوه فقال : (ذلك) أي هذا الوصف العالي جداً البديع المثل البعيد المنال))^(٥٣) والدلالة إلى صفات الصحابة الكرام جاء باسم الإشارة، ((لأن السابق في الذكر بمنزلة الحاضر فيشار إليه بهذا الاعتبار فاسم الإشارة مبتدأ ومثلهم خبره))^(٥٣)، ثم إن ((هذه

(٥١) سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد القادر و إبراهيم عطوة، ٤/٦٥٢ .

(٥٢) نظم الدرر، ٧/٢١٦

(٥٣) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٧

(٥٤) في ظلال القرآن، ٦/٣٣٣٢

(٥٥) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٧

(٥٦) ينظر: معجم الصوتيات ، ٨٢ .

والإنجيل بهذين الوصفين ، فقد ردَّ الطبري رحمه الله هذا القول مرجحاً القول الثاني ، فعنده ((أولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة، غير مثلهم في الإنجيل، وإن الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله: (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ)، وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل: ومثلهم في الإنجيل، وكزع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفاً على قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) حتى يكون ذلك خبراً عن أن ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل، وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: (كَرَّعٍ) دليل بين على صحة ما قلنا، وأن قولهم **مَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ** خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها))^(٥٨)، أما إن كان يعني أن الصحابة رضوان الله عليهم قد وصفوا بالوصف الأول فقط في كل من التوراة والإنجيل ، فيكون الوقف على قوله تعالى: (ومثلهم في الإنجيل) ((ويكون على هذا قوله (كَرَّعٍ) فيه أوجه، أحدها: أنه خبر مبتدأ مضمراً أي: مثلهم كَرَّعٍ، فسَّرَ بها المثل المذكور. الثاني: أنه حال من الضمير في **مَثَلُهُمْ** في أي: **مُمَاتِلِينَ زَرْعاً** هذه صفة. الثالث:

المعية الثابتة الراسخة المستمرة في مختلف الأحوال وأشدها ، وينسجم هذا الامتداد الصوتي مع الوقوف على حرف (الألف) في (سجداً) ، (رضواناً) ، وامتداد الألف أيضاً عند الوقف بالهاء في (التوراة) ، وكل ذلك يشير شدة إلى تمسكهم بالصلاة وتقواهم لله عز وجل وعمق ذكركم زمنياً وجلاله وعظمته ديناً، ويسند ذلك أيضاً الانسجام في الوقع الصوتي بالوزن الصرفي وتشديد (العين) و(الجيم) بما يمثله من تكرير حرفين عبر الإدغام تعبيراً عن كثرة صلاتهم وانتظامها وجمال إقامتهم لها .

لاتهم وانتظامها وجمال إقامتهم لها .
ومن المناسب الإشارة هنا أيضاً إلى أن هناك أقوال ثلاثة في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ﴾ ((أحدها: أن هذا المثل المذكور أنه في التوراة هو مثلهم في الإنجيل. قال مجاهد: مثلهم في التوراة والإنجيل واحد . والثاني: أن المتقدم مثلهم في التوراة. فأما مثلهم في الإنجيل فهو قوله: كَرَّعٍ، وهذا قول الضحاك وابن زيد . والثالث: أن مثلهم في التوراة والإنجيل كَرَّعٍ))^(٥٧) ، فالقول الأول إن كان يعني أن الصحابة رضوان الله عليهم وُصِفَا في كل من التوراة

(٥٧) زاد المسير زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن

بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)

، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١٣٩/٤ .

(٥٨) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد

الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٦٧/٢٢ .

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

سياق الآية))^(٦١) ، فمن المستبعد جداً على المستوى النحوي والبلاغي أن يكون الوقف على ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ بمعنى أن الوصف السابق للصحابة رضوان الله عليهم مذكور في التوراة والإنجيل، وأن قوله تعالى: (كررع . . .) كلام ابتدأه القرآن^(٦٢)، لأن هذا الاحتمال فيه تَعَرُّ وتكَلُّفٌ، فلا ينسجم مع الوصل بالواو بين المثلين باعتبارهما يدوران حول مدح الصحابة، وهذا الأمر مجافٍ لوضوح تراكيب أسلوب القرآن وبلاغته، ولو كان ذلك مقبولاً لما كَرَّرَ القرآن (مثلهم)، وقال افتراضاً: (ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل) ليكون أنسب بالمعنى وأليق بالسياق، وهذا فوق ما يؤديه تكرار (مثلهم) من إطناب يؤكد مدحهم وجرس صوتي له وقع في النفس يسند ذلك، وحاصل الغرض المعنوي المستخلص من هذه الطريقة التعبيرية في تقديم التوراة على الإنجيل النازل بعده أنه تعالى ((لما ذكر مثلهم في الكتاب الأول ، أتبعه الكتاب الثاني الذي هو ناسخ ليعلم أنه قد أخذ على كل ناسخ لشريعته أن يصفهم لأمتهم ليتبعوهم إذا دعوهم))^(٦٣) .

أنها نعتٌ مصدرٌ محذوفٍ أي: تمثيلاً كزرع))^(٥٩)، وواضح مرجوحية هذه الأعراب لكونها تعتمد على التقدير وعدم التقدير أولى، أما القول الثالث الذي يعني أن كلا من التوراة والإنجيل وصفا الصحابة رضوان الله عليهم بالوصف الثاني فقط المبدوء بـ **بِ** كزرع **بِ** وأن الوصف الأول وصف قرآني، وذلك بناء على أن (كزرع) خبر مبتدأ محذوف تقديره (هم)، والجملة كالإيضاح بعد الإجمال لجملة (ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل)، فهو كسابقه يعتمد على التقدير والإضمار وعدمه أولى ثم إن علماء الوقف والابتداء قد رجحوا كون الوقف على (في التوراة) تاماً وقد أوردوا الوقف على **بِ** في الإنجيل **بِ** بصيغة التمريض^(٦٠) .

وبناء على ما مضى فإن قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ ليس معطوفاً على جملة ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ بل هو ((ابتداء كلام مبتدأ . ويكون الوقف على قوله: في التوراة والتشبيه في قوله: كزرع خبره، وهو المثل . وهذا هو الظاهر من

(٥٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ٧٢٢/٩ .

(٦٠) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأشموني (ت: ١١٠٠هـ)، ٦٦/٢ .

(٦١) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٧-٢٠٨ .

(٦٢) ينظر مفاتيح الغيب، ٢٨/٨٨ .

(٦٣) نظم الدرر، ٧/٢١٧ .

المبحث الثاني :

التعبير القرآني عن وصف الإنجيل للصحابة رضي الله عنهم

المبحث الثاني : التعبير القرآني عن الوصف الإنجيلي للصحابة:

لا شك بأن استحضار قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ واجب سياقي أساسي لسبر أغوار التعبير القرآني عن وصف الإنجيل للصحابة الكرام ، فكما أن الصحابة الذين مع الرسول أشداء على الكفار مثلهم أو صفتهم الدقيقة العجيبة في التوراة أشداء على الكفار رحماء بينهم وغير ذلك من الأوصاف التي عبر عنها القرآن الكريم ، فإن الصحابة الذين معه أيضاً مثلهم أو صفتهم الدقيقة العجيبة في الإنجيل كالزرع الباقية آثاره وثماره الطيبة و المبارك المتزايد على الترتيب الطبيعي ولكن بسرعة عجيبة توحى بالعناية الربانية به، ((فهو زرع نام قوي، يخرج فرخه من قوته وخصوبته. ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده «فآزره» أو أن العود آزر فرخه فشده، «فأسْتَغْطَطَ» الزرع وضخمت ساقه وامتلأت، «فأسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ» لا معوجاً ومحنياً. ولكن مستقيماً قوياً سويًا. هذه صورته في ذاته. فأما وقعه في نفوس أهل الخبرة في

الزرع، العارفين بالنامي منه والذابل، المثمر منه والبائر، فهو وقع البهجة والإعجاب: «يُعْجِبُ الزَّرْعُ» وأما وقعه في نفوس الكفار فعلى العكس، فهو وقع الغيظ والكمند: «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» ((^(٦٤)، وها هنا إشارة أخرى في طريقة العرض القرآنية التي تصور البعد النفسي من إعجاب الزرع واغتيال الكفار، فهي تعطي معنى التسلية والتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وقرب تحقق موعود الله تعالى له بالنصر المؤزر أيضاً ، ((تعتمد إغاطة الكفار يوحي بأن هذه الزرعة هي زرعة الله. أو زرعة رسوله، وأنهم ستار للقدرة وأداة لإغاطة أعداء الله! وهذا المثل كذلك ليس مستحدثاً، فهو ثابت في صفحة القدر. ومن ثمَّ ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ومن معه إلى هذه الأرض. ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون))^(٦٥).

وتقاطع صورة الزرع هنا مع صورة الزرع في كثير من الآيات القرآنية في سياقات أخرى من نحو قوله تعالى: ﴿وَأَصْرِبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَقَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف/٤٥) ،

(^{٦٤}) في ظلال القرآن، ٦/٣٣٣٢

(^{٦٥}) م.ن.٦/٣٣٣٣

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

والارتقاء . ثم كان هذا الزرع لقوته وحُسن روائه باعثاً على حالتين:
إعجاب الزُّرَّاع به، ثم غيظه الكافرين . إنه زرع من نوع خاص ينمو
ولا يذبل . . . يقوى ولا يضعف . . . وهكذا كان محمد - صلى الله
عليه وسلم - وصحبه ، ووجه الشبه شيء يبدو صغيراً ثم ينمو
ويقوى ويكتمل فيعجب الأعباء . ويعيظ الأعداء .))^(٦٧)

ويلاحظ هنا أيضاً أن الأسلوب القرآني يغضُّ الطرف عن
ذكر الأرض والغيث كما في كثير من الأمثال القرآنية ، ولعل ذلك
إشارة إلى أن السبب الوحيد لنجاتهم ونصرهم إنما هو به تعالى
وبتأييده قال تعالى : ﴿ وَمَا أَلْتَمَسُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ﴿ من آل عمران / ١٢٦ ٤٠ .

ومن عظمة هذا الدين أن قوته ذاتية يزداد برغم
انكسار أهله مادياً وتخلفهم في مجالات السياسة والاقتصاد وغيرها
كما هو مشاهد اليوم، ولكن هكذا كان أمر الدين أولاً ثم ساد
الدنيا، ((فكان الإسلام في بدو الأمر غريباً كاد الكفار يكونون عليه
لإيحائه لبدأً لولا حماية الله تعالى فأزره الله تعالى بمجاهدات
الصحابة من المهاجرين والأنصار حين سقوا زرع الدين بدمائهم في
حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته لا سيما في خلافة أبي
بكر وعمر رضي الله عنهما ، فاستوى الدين على سوقه وظهر على

ولكن الزرع هنا شيء آخر لا يبلغ الخيال مداه ((إنه لا يصبح
هشيمًا مطلقاً، ولا تذروه الرياح أبداً . إنه ليخيل إليك أنه ثابت هنا
في مكانه، قار في منبته، خالد في موضعه . ومدة العرض هنا
دائمة، والمنظر ثابت، حتى تتحول عنه العين، ولا يتحول هو عن
العين . وذلك هو الهدف المقصود، وهذا الثبات طريقة من طرق
التطوير . ومن الدقائق اللطيفة هنا، أن الصورة العامة تسير على
طريقة الإطالة . . . ولكن الأجزاء الأولى منها تتم في سرعة
متعاقبة: "كزرج أخرج شطأه" ف"آزره" ف"استغلظ" ف"استوى على
سوقه" فقد تم الغلظ والاستواء في مدى قصير . ثم ثبت بعد ذلك
وقرَّ . إن الإسراع الأول مقصود كالأستقرار الأخير في تصوير حال
المسلمين، يتم نموهم، ثم يستقر وضعهم أبداً))^(٦٨) ، وإمعاناً في بيان
جمال المعاني القرآنية نلمح بهاء تعبيرياً في هذا التشبيه الجليل يدركه
كل متذوق منصف، ((في هذا التشبيه كثير من اللطائف والأسرار،
منها . . . أن الإسلام كان سريع الانتشار والاستقرار، يدل على
ذلك العطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ
فَأَسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى ﴾^{٦٩} ، ومنها أن الإسلام كان يتم كماله في
صورة دقيقة وحكمة وتديير حيث شُبِّهت أطوار نموه بأطوار نمو
الزرع، وهي مراحل طبيعية لا ارتجال فيها ولا مخالفة لسُننِ النشوء

(٦٧) خصائص التعبير القرآني، د . محمد عبد العظيم المطعني، ٢/٢٤٠

(٦٨) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب، ١٣٥

صلى الله عليه وسلم بالزارع كما مثل عيسى غلب الإسلام في الإنجيل، ويشبه المؤمنون الأولون مجبات الزرع التي يبذرهما في الأرض مثل: أبي بكر وخديجة وعلي وبلال وعمار، والشطاء: من أيدوا المسلمين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الله وحده وانضم إليه نفر قليل ثم قوّاه الله بمن تضامن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحقّق بها مما يتولد منها حتى يعجب الزارع. وقوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ تحسين للمشبه به ليفيد تحسين المشبه. ((^(٧٠)، وإنما ((خصهم تعالى بالذكر، لأنه إذا أعجب الزارع وهم يعرفون عيوب الزرع فهو أحرى أن يعجب غيرهم)) ((^(٧١) وجاء قوله تعالى: ﴿لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ليحلي الهدف من وراء هذا التمثيل والغرض منه، فهو ((تعليل لما تضمنه تمثيلهم بالزرع الموصوف من نائمهم وترقيهم في الزيادة والقوة، لأن كونهم بتلك الحالة من تقدير الله لهم أن يكونوا عليها، فمثل بأنه فعل ذلك ليغيظ بهم الكفار)) ((^(٧٢)، والغيظ من الصحابة يغلي ويزداد في قلوب الكفار بسرعة، ((وذلك أنهم لما كانوا أول الأمر قليلاً، كان الكفار طامعين في أن لا يتم لهم أمر، فكلما ازدادوا كثرة مع تمادي الزمان زاد

الدين كله واستغنى عن حماية غيرهم بحيث يعجب الزراع حتى قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ((^(٦٨)).

وقد جاء التعبير القرآني هنا على طريقة التشبيه التمثيلي القابل للتفكيك حسب معانيه الجزئية إلى تشبيهات مفردة بكل ما في اللون من التشبيه من عنفوان الخيال وسعة المعاني كونه يعتمد تشبيه صورة بصورة ووجه الشبه فيه وصف منتزع من متعدد، فيكون وجه الشبه في التشبيه التمثيلي صورة مركبة، وهذا ما يعطي للمعنى التشبيهي وهجاءً وحركية تمتد تصاعدياً في عمقه وأفقياً في أطرافه^(٦٩)، ف((معنى هذا التمثيل تشبيه حال بدو المسلمين ونمائهم حتى كثروا وذلك يتضمن تشبيه بدء دين الإسلام ضعيفاً وتقويته يوماً فيوماً حتى استحکم أمره وتغلب على أعدائه. وهذا التمثيل قابل للاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد

^(٦٨) التفسير المظهر، القاضي محمد ثناء الله الهندي الحنفي (ت: ١٢١٦هـ).

تحقيق: غلام نبي التونسي، ٣٦/٩.

^(٦٩) ينظر: مختصر السعد ضمن حاشية الدسوقي، ٣/ ٨١، التوجيه البياني في تفسير التحرير والتنوير، عمار غانم محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد الستار عبد الله صالح، ٢٠١١م، ٢١١- . ٢١٣

^(٧٠) التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢١٠.

^(٧١) روح المعاني، ١٣/ ١٨٠، وينظر البحر المحيط، ٩/ ٥٠٣.

^(٧٢) التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢١٠.

ولا بدَّ من عقد مقارنة سريعة تلقي الضوء على الفرق الأسلوبية في الاختيار ليستبين بدقة جمال الإعجاز القرآني، إذ ((اختار كلمة الزُّرَاع، لأن الزارع يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين وهؤلاء ليسوا كالذين ذكرهم قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطْلَمًا ۗ ﴾ (من الحديد/ ٢٠) غيث نزل في الأرض وخرج النبات وقد يكون فيه أدغال وحشائش لا تنفع الناس. هناك تصريح بالزُّرَاع وقيدت الآية بـ (نبات) وهو أي نبات نبت في الأرض، وقال تعالى (كمثل غيث) ولم يقل مثل زارع والغيث عندما يطر يخرج حشائش الأرض التي لو خرجت في حديقتك ستقلعها . وفي آية الفتح ذكر (الزُّرَاع)، لأن الزارع لا يزرع الحشائش وإنما يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين . ذاك كمثل غيث، الغيث أنت لا تسيطر على ما يخرج فقد يخرج مما تريد وما لا تريد))، ولتوضيح هذا الفرق أكثر نجد أنه يشبه الفرق بين (خرج) و(أخرج) في قوله تعالى في حق الصحابة رضوان الله عليهم: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (١١٠) آل عمران) ، فالأسلوب القرآني ((ما قال خرجت لأن ربنا أخرجها إخراجاً، هذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها أخرجت للناس ولم يقل خرجت من تلقاء نفسها . (خرجت) يعني

غيظ الكفار منهم ، فكيف إذا رأوا مع الزيادة والقوة منهم حسناً ونضارة وروتقاً وهججاً، فهو في الغيظ مما لو كانوا في أول الأمر أشدُّ كثيراً، لأنه كان يهون دفعه ويقصر زمنه ((٧٣). والكفر جاء هنا بالمعنى الشرعي أصالة و بالمعنى اللغوي الذي هو الستر إشارة - بقرينة المقابلة بـ ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ ﴾ - إلى أن بذور الكفر التي يسترها الكفار في الأرض ويرجون نموها ستلفظها الأرض وستموت حتماً، لأنها سراب ببيعة مجتة الصلة بالحق الذي قام عليه الوجود وترفضها الفطرة السليمة قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۗ ﴾ (إبراهيم/ ٢٦) ، وهذا عكس المراد بالكفار في قوله تعالى: ﴿ اَعْلَمُوْا اَنَّ مَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَاَلَهُوْ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْاَمْوَالِ وَاَلْاَوَّلٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطْلَمًا ۗ وَفِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِّنْ اَللّٰهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَعُ الْعٰوْرِ ۗ ﴾ (الحديد/ ٢) ، فهنا أريد بالكفار (الزُّرَاع) أي المعنى اللغوي أصالة والمعنى الشرعي إشارة .

محمد صلى الله عليه وسلم الواردة في التوراة والإنجيل بقوله:
(والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات من سورة
الفتح فلما وصفهم القرآن قال: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)
الآية من آل عمران، فجمع في هاته الجملة جميع أوصاف الكمال))
(٧٥).

وقد يتبادر سؤال عن الأسرار البلاغية في اختيار جمع
التكسير (الزُّرَاع) عوضاً عن جمع المذكر السالم (الزارعون) وفي
اختيار (الكفَّار) عوضاً عن (الكفرة) وجوابهما أن الانسجام
المعنوي والصوتي لا يتحققان إلا بهذا ، لأن عادة القرآن الأكثر أن
الكفرة تأتي لتدل على كفر النعم والكفار تدل على الكفر به تعالى
وهذا ما ينسجم مع سياق الآية، و من عادة القرآن أيضاً أنه (لما
يذكر ضمير التعظيم يذكر جمع المذكر السالم. كما جاء في سورة
الواقعة قال تعالى: ﴿عَأَنَتَّمْ تَزَرَّعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿٦٤﴾
﴿٧٦﴾، وها هنا لم يذكر ضمير التعظيم، و الوزن الصرفي
(فَعَال) في (الزُّرَاع) هو نفسه في (الكفَّار) ، و تشير الشدَّة والمد
بالألف في كليهما إلى أنه كلما زادت وامتدت شِدَّة الكفار ومكرهم
على أهل الإيمان فإن ذلك لن يؤثر على انتشاره مطلقاً .

خرجت من نفسها وليست برسالة، أخرج فعل متعدي (أخرجته)
، خرج فعل لازم نحو (خرجت من البيت) . (أخرجت للناس) أي
أن الله سبحانه وتعالى أخرجها على نمط معين كما يريد ولم تخرج
من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. الزارع
ينتقي ويعلم ما يزرع وهذه الأمة أُخْرِجَتْ إخراجاً إلى الناس ولم
تخرج من تلقاء نفسها وفق منهج معين معدّ واختيار دقيق. هذه
الأمة أُخْرِجَتْ بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة. تلك الآية
خرج كما تخرج الحشائش بالغيث يُعَجِبُ من يُعَجِبُ وأما في سورة
الفتح اختار الزُّرَاع يزرعون وينتقون ماذا يريدون. كنتم خير أمة
أخرجت للناس أخرجها ربنا بصورة معينة ولغرض معين منهج معين
واختيار معين وباصطفاء معين ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴿الحج / ٧٥﴾ ((٧٤) .

وها هنا إشارة أخرى أن من أسماء القرآن الفرقان بمعنى
أن حججه تمتاز عن غيرها بأنها شديدة التفريق بين الحق
والباطل، فإن كان من شك أو إجمال في دلالة هذه الآية على فضل
الصحابة أزالته أية أخرى، فإنه سبحانه ((حكى صفة أصحاب

(٧٥) التحرير والتنوير، ١/٧٢.

(٧٦) لمسات بيانية، ١/١٦٦.

(٧٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح مهدي

السامرائي، ١/٢٥٩.

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

لهم بإحسان إلى يوم الدين للحياة السليمة , والبيئة الأرضية الصحية والمتزنة . ثم الزرع نكاثره ليس من التكاثر الجنسي البذري الذي يتم فيه الانتاج عبر التلاقح باتحاد المشيج المذكور (في حبة اللقاح) مع المشيج المؤنث (في البويضة) لإنتاج نبات جديد يحمل خليط من الصفات الوراثية للآباء ، فهذا النوع من التكاثر غير محكوم الصفات الوراثية , ولا مأمون العواقب الانتاجية , فقد يحدث تغيير في الصفات الوراثية تجعل النبات الجديد مغايراً في صفاته الظاهرية و الجينية لصفات النبات الأب والنبات الأم، وينفصل النبات الجديد عن النبات الأم وتتقطع علاقته به عادة بعد نضج البذرة والحبة ولا يعيش في كنف الشجرة الأم طويلاً ولا يحميها , ولا يقويها بل يضعفها إذا نبت ونمى في محيطها . ويستغرق وقتاً طويلاً حتى تزهر النباتات الجديدة وتثمر خاصة في الأشجار والشجيرات . بل إن الزرع يتكاثر بالتكاثر الحضري اللاجنسي كفسائل النخيل مثلاً^(٧٧)، ويتصف بصفات معينة إذ إنه (ينتج نباتات جديدة مشابهة تماماً للنبات الأم في التركيب الجيني والمظهر الخارجي وتميز النباتات الجديدة بسرعة الإزهار (بكسر الهمة) والإثمار خاصة في الأشجار والشجيرات لتكوين هرمون الإزهار . . . في أنسجة

وبعد هذه النظرة الإجمالية إلى معنى هذا التشبيه التمثيلي وجمال أدائه ندلف أكثر إلى تفاصيل الإعجاز وروعه والسر في اختيار تشبيه نباتي معين هنا (الزَّرع) دون غيره، وها هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى ضرب المثل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته بالنبات , لأن النبات هو سر الحياة على الأرض , وإذا غاب النبات غاب الغذاء , وغابت الطاقة , وغاب استغلال الماء الأرضي وغابت الحياة عن الأرض، فلا حياة حقيقية على الأرض دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . كما أنه لا حياة على الأرض دون نبات ، والرسول صلى الله عليه وسلم تلقى رسالته من السماء , وربط الأرض بالسماء والمجتمع، وأعاناه الصحابة في ذلك كما أن النبات يستمد طاقته من أعلاه وهو الذي يربط السماء بالأرض والبيئة المحيطة به، والرسول صلى الله عليه وسلم ثبت الوحي (نور الله) على الأرض ويجعله في مقدور الإنسان وأعاناه الصحابة في ذلك أيضاً كما أن النبات يثبت الطاقة على الأرض ويحولها من طاقة ضوئية يصعب استغلالها بالكائنات الحية مباشرة إلى طاقة كيميائية يسهل استغلالها بالكائنات الحية , كما يثبت ثاني أكسيد الكربون الجوي في الجو، ومن هنا فإن النبات في الآيات يشهد بأهمية الإسلام , وأهمية رسول الله صلى الله عليه وسلم , وأهمية أصحابه والتابعين

(٧٧) ينظر: القرآن والنبات يشهدان بعدالة الصحابة، نظمي خليل أبو العطا،

www.nazme.net/ar/index.php?p=show_articles&id=6

سبب الزرع، كما تقول: أثبتُّ كذا إذا كتَّ من أسباب إنباته .
والزرع في الأصل مصدر، وعبر به عن المزرع؛ كقوله: بـ به تج
((^(٨٠))، وإذا كان ((الشطء بهمة في آخره وسكون الطاء: فراخ
الزرع وفروع الحبة. ويقال: أشطأ الزرع، إذا أخرج فروعاً...
وفآزره قواه، وهو من المؤازرة بالهمز وهي المعاونة))^(٨١)، فإن السر
الكامن في اختيار كلمتي (شطء - آزر) لدلالة الشطء على
الإحاطة- كالشاطيء للنهر - بجميع جوانب الزرع بالبراعم
الجانبية المتكاثرة، ودلالة آزر على التقوية المحيطة من كل جانب
كالإزار الذي يشد على الظهر والبطن.

ثم إن ((في قوله: أخرج شطأه استعارة الإخراج إلى تفرع
الفراخ من الحبة لمشابهة التفرع بالخروج ومشابهة الأصل المتفرع عنه
بالذي يخرج شيئاً من مكان... وصيغة المفاعلة في فآزره
مستعارة لقوة الفعل مثل قولهم: عافاك الله، وقوله تعالى: وبارك فيها
والضمير المرفوع في فآزره للشطء، والضمير المنصوب للزرع، أي
قوى الشطء أصله.))^(٨٢)، وذلك أنه تعالى ((لما ذكر هذا الإخراج

النبات الأم وانتقاله للنباتات الجديدة...، ويتميز النبات الجديد (
الشطء) بمؤازرة النبات الأصل للنبات الأم وحمايته، وإذا نقل
النبات الجديد إلى مكان جديد كان صورة طبق الأصل من النبات
الأم.))^(٧٨)

ومن هنا فإن هذا المثل القرآني المعجز ((يدل بالأدلة
العلمية القرآنية أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
نشروا الدين ، ولم يغيروا... ولم ينتكسوا ، وأن كل واحد منهم كان
مشابهاً في اتجاhe العلمي والعقائدي ، والسلوكي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وأنهم حموه وقوه وأنهم نشروا الدين بعيداً عن
الموطن الأصلي (مكة المكرمة والمدينة المنورة) حتى وصلوا إلى
الأندلس ، والقسطنطينية))^(٧٩)، وفي اختيار لفظة (الزرع) إشارة
إلى الرعاية والتعاهد الرباني لهذا الزرع، لأن ((الزرع: الإنبات،
وحقيقة ذلك مخصوصة بالله تعالى، فلماذا قال تعالى: ﴿ أَقْرَعَيْتُمْ
مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ٦٣ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ٦٤
﴿ فنسب الحَرْث إليهم، ونفى عنهم الزرع، ونسبه إلى نفسه
تعالى. وإذا نسب إلى العبد فمجاز؛ لأنه فاعل للأسباب التي هي

(^{٨٠}) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبوطاهر محمد بن
يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ٣/١٢٥.

(^{٨١}) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٨.

(^{٨٢}) م. ن. ٢٦/٢٠٨.

(^{٧٨}) م. ن.

(^{٧٩}) القرآن والنبات يشهدان بدلالة الصحابة.

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

الشين^(٨٦) و حرف القلقلة الطاء الساكنة^(٨٧) ينسجمان بتناغم مثير مع شدة تسارع المياه وقوة التزايد المبهر في هذا الزرع المبارك وحرف الهمس والصغير^(السين) ^(٨٨) المتكررة بشكل متتابع في الكلمات (استغظ، استوى ، سوقه) ينسجم مع هسيس الرياح الذي يتداخل مع الزرع المتكاثف فضلاً عن تعضيد الهاء وصوتها الهامس^(٨٩) في (شطاء، آزره، سوقه) لهذا المعنى، وتنسجم الأصوات الهامسة مع معنى اللطافة وخفض الجناح ورقة الإيمان والرافة بينهم والرافة بالناس من خلال هدايتهم لهم، فتكاثر الصحابة واشتداد أمرهم يسير بشكل متواز مع هذه الأخلاق السامية والامتداد الصوتي في (الزراع) - فضلاً عن الوزن الصرفي - ينسجم مع الامتداد الصوتي في (الكفار) ووزنه الصرفي يشير إلى استمرارية الصراع بين الإيمان والكفر وشدته وتنتهي الآية بـ(عظيماً) ليكون تنكير التعظيم مع الامتداد بالألف إشارة إلى مدى عظيمة هذا الأجر الرباني اللانهائي.

سبب عنه قوله (فازره) أي فأحاط به الشطأ ، فقوّاه وطهره من غير نبتة نبتت عنه قضعفه وساواه وحاذاه وعاونه^(٨٣) . أما احتمال أن يكون الضمير في (فآزره) للشطأ بمعنى أن يكون المراد أخرج الشطأ وآزر الشطأ وتكون تقوية الزرع تحصيل حاصل من باب الأولى، فهو توجيه وارد إلا أنه بعيد عن سياق الآية لدوران التمثيل فيها على الزرع و بعيد عن أسلوب القرآن المبين، وذهب الرازي رحمه الله إلى توجيه عود الضمير في (فآزره) إلى الشطأ ووصفه بأنه ((أقوى وأظهر))^(٨٤) .

ويستمر الأسلوب القرآني في بيان شدة العناية الربانية بالصحابة رضوان الله عليهم بقوله تعالى: (فاستغظ فاستوى على سوقه) أي الزرع ((ومعنى فاستغظ غلظ غلظاً شديداً في نوعه، فالسين والتاء للمبالغة مثل: استجاب. والضميران المرفوعان في (فاستغظ) و(استوى) عائدتان إلى الزرع . . . وساق الزرع والشجرة: الأصل الذي تخرج فيه السنبل والأغصان))^(٨٥) .

ومن اللافت للانتباه التعضيد الصوتي المناسب مع معاني هذا المثل القرآني العميق إذ نجد في (شطاءه) أن حرف التفشي

^(٨٦) ينظر: معجم الصوتيات، ٧٢ .

^(٨٧) ينظر: معجم الصوتيات، ١٤٠-١٤١ .

^(٨٨) ينظر: م.ن، ٢١٤، ١١٣ .

^(٨٩) ينظر: م.ن، ٢١٤ .

^(٨٣) نظم الدرر، ٢٠/٢١٧ .

^(٨٤) مفاتيح الغيب، ٢٨/٨٩ .

^(٨٥) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٩ .

بالك بمن شَيد الله بهم الدين وأعلاه حتى عمّ جميع الأرضين،
وأغاظ الله بهم الكافرين^(٩٣)

والمغفرة: محو الذنوب وسترها وقد جاءت المغفرة هنا
برغم مديح القرآن للصحابة وذكره لفضائلهم، لأنه (لما كان الإنسان
وإن اجتهد مقصراً عن بلوغ ما يحق له من العبادة، أشار إلى ذلك
بقوله: (مغفرة) أي لما يقع منهم من المحفوات أو الذنوب والسيئات
(وأجرًا عظيمًا) بعد ذلك الستر^(٩٤)، والتنكير في (مغفرة)
لتعظيم مدى هذه المغفرة والتنكير في (أجرًا عظيمًا) لتأكيد عظمة
هذا الأجر.

وحرف الجر (من) في قوله: (منهم) - إذا كان الضمير (هم)
يعود للصحابة كلهم الموصوفين بهذه الصفات في هذه الآية الكريمة
وإن كانوا على درجات في ذلك - (للبيان الجنس . . . ويحتمل أن
يقال هو للتبعيض ومعناه ليغيظ الكفار والذين آمنوا من الكفار لهم
الأجر العظيم^(٩٥)، ومجيء (من) للبيان كقوله تعالى: ﴿
فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (من الحج / ٣٠)

وقد ذُلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
﴾ لأن الوعد بذلك يترتب على معناها حيث إنه تعالى ((أعقب
تنويه شأنهم والثناء عليهم بوعدهم بالجزاء على ما اتصفوا به من
الصفات التي لها الأثر المتين في نشر ونصر هذا الدين.))^(٩٠)
فالتعبير القرآني يشي بعطايا الملك الديان المتوالية لهذه الثلة المباركة
، ف(فوق هذا التكريم كله، وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم . . .
وهو وعد يجيء في هذه الصيغة العامة بعد ما تقدم من صفتهم،
التي تجعلهم أول الداخلين في هذه الصيغة العامة، وذلك التكريم
وحده حسبهم. وذلك الرضى وحده أجر عظيم. ولكنه الفيض
الإلهي بلا حدود ولا قيود، والعطاء الإلهي عطاء غير مجذوذ))
^(٩١)، وفي هذا إيمان في إغاطة الكفار كما يقال رغماً لأنك أنعم
عليه^(٩٢)، وهذا الوعد من رب العزة ((وعد يعمّ جميع الصحابة
رضوان الله عليهم، وفي هذا تشريف لهم، وكيف لا وقد ذكر الله
مؤمن آل فرعون بكلمة قالها ينصر بها موسى إلى آخر الدهر، فما

(٩٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

الشهير بالسيوطي (ت: ٩١١هـ)، ٢/٤٣٤

(٩٤) نظم الدرر، ٢/٢١٨

(٩٥) مفاتيح الغيب، ٢٨/٩٠.

(٩٠) التحرير والتنوير، ٢٦/٢١٠

(٩١) في ظلال القرآن، ٦/٣٣٣٣

(٩٢) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٨/٩٠

قصده إخراج المنافقين أو الذين في قلوبهم مرض ، فلم يتمكن الإيمان في قلوبهم ، وهم مترددون بين الإيمان والكفر وكلا الصنفين كانوا معروفين بين الصحابة من خلال سلوكهم ومواقفهم السيئة ، ولا يعدون من الصحابة أيضاً .

ولعل الأقرب فهما و الأوفى بالسياق والأبعد عن التكلف الاحتمال الذي مر معنا سابقاً من جعل (من) تبعيضية، لأنه الأصل الأكثر فيها، وعود الضمير في (منهم) على (الكفار) ، لأن المقصود أن الله تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الكفار إلى يوم القيامة بالمغفرة والأجر العظيم ، فالضمير (هم) يعود إلى الكفار تأنيساً لهم وترغيباً في الدخول إلى الإسلام ليلتحقوا بهذه الكوكبة الطاهرة، ويكونوا ضمنها، ومن الطبيعي والأولى أن يدخل في هذا الوعد لزوماً على وجه القطع المهاجرون والأنصار ومن شهد بيعة الرضوان ، لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات وثبتوا على ذلك بشهادة الآية نفسها والدليل على ذلك أن الفرقان لم يفصل كما فصل في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٠ ﴾ ذلك على عودة الضمير (هم) على (الكفار) الذين آمنوا بعد

استعمال كثير^(٩٦) ، ((ولا يعكر عليه صدور بعض المعاصي من بعضهم بعد وإنما يعكر صدور ما لا يجامع الرضا أصلاً كالارتداد والعياذ بالله تعالى))^(٩٧)، ولعل هذا الوعد ((وعد لكل من يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحاضر والمستقبل، فيكون ذكر (من) تحذيراً وهو لا ينافي المغفرة لجميعهم، لأن جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم هم خيرة المؤمنين))^(٩٨) ، وعلى هذا التوجيه تكون (من) تبعيضية، والحكمة أو العلة وراء تحذير الصحابة أيضاً، ((لأنهم وإن علم الله تعالى منهم الثبات على ما هم عليه من العمل الصالح، فإنه لا يخليهم من الأمر والنهي والوعد والوعيد، على معنى: دوموا على ما أتمم عليه: فإن من داوم منكم عليه فقد وعده الله تعالى مغفرة وأجراً عظيماً))^(٩٩)، وقد أبعد من جعل (من) تبعيضية لإخراج من آمن من الصحابة ولم يعمل الصالحات^(١٠٠)، لأن الآية تتحدث في سياقها عن صدق الصحابة جميعاً في شؤونهم كافة مع الله تعالى إلا إذا كان

(٩٦) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٦/٢١١

(٩٧) روح المعاني، ١٣/٢٧٩

(٩٨) التحرير والتنوير، ٢٦/٢١١

(٩٩) م. ن. ٢٦/٢١١

(١٠٠) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم بونس الخطيب، ١٣/٤٣١.

العمل الصالح ومن أعظم ما يدل على ذلك البشارة بصدقهم في التوراة والإنجيل وبعبارة أخرى ، فإنه ((لما كان الكلام في الذين معه) صلى الله عليه وسلم) ، وكانت المعية ظاهرة في الاتحاد في الدين لم تكن شاملة للمنافقين

، فلم يكن الاهتمام بالتمييز (منهم) هنا كالاتمام به في سورة النور، فأخره وقدم العمل لأن العناية به هنا أكثر، لأنه من سيماهم المذكورة ، فقال: (وعملوا الصالحات) أي تصديقاً لدعواهم الكون معه))^(١٠٦) ، وهكذا يجعل الله تعالى ثلة الصحابة الأبرار قدوة باقية للأجيال ، و((يثبت الله عز وجل في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة... فتثبت في صلب الوجود كله، وتجاوب بها أرجاؤه، وهو يسمع إليها من بارئ الوجود. وتبقى نموذجاً للأجيال، تحاول أن تحققها، لتحقيق معنى الإيمان في أعلى الدرجات... ومرة أخرى أحاول من وراء أربعة عشر قرناً أن أستشرف وجوه هؤلاء الرجال السعداء وقلوبهم. وهم يتلقون هذا الفيض الإلهي من الرضى والتكريم والوعد العظيم. وهم يرون أنفسهم هكذا في اعتبار الله، وفي ميزان الله، وفي كتاب الله. وأنظر إليهم وهم عائدون من الحديبية، وقد نزلت هذه السورة، وقد قرئت عليهم. وهم يعيشون فيها بأرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم

الحديبية إلى يوم القيامة وأنفقوا ونصروا. وليس تنبيه الصحابة للثبات والدوام على الإيمان والعمل الصالح كما هي سنة القرآن التكليفية مستقداً من (من) التبعية وإنما من الوصف (آمنوا وعملوا الصالحات) ، لأن وعد الله مبني على ذلك، ويلتقي مع هذا التوجيه بطريق آخر في النتيجة المعنوية ويوضحه توجيه آخر يذهب إلى عود الضمير في (منهم) إلى (الشطاء) ويكون المعنى ((من الشطاء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته. والهاء والميم في قوله (منهم) عائد على معنى الشطاء لا على لفظه، ولذلك جمع فقيل: "منهم" ، ولم يقل "منه". وإنما جمع الشطاء لأنه أريد به من يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾^(١٠٧) ، وإذا نظرنا من باب المقارنة في نكتة تأخير (منهم) هنا عن (عملوا الصالحات) وتقديمه عليها في قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) النور / ٢٤ نجد أن السر يكمن في استلزام الصفات الماضية المادحة لهم استلزاماً ببنائاً لثباتهم على

(١٠٦) نظم الدرر، ٧/٢١٨

(١٠٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٧٠

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

وسماتهم . وينظر بعضهم في وجوه بعض فيرى أثر النعمة التي يحسها
هو في كيانه))^(١٠٣) .

ومن التفسير المتكلف الذي يستأنس به فقط، ولا يعد
تفسيراً سياقياً للآية كونه لا يجري على سنن العرب في الفهم والإفهام
القول بأنه: ((قد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف
المعجم بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع
أمرهم وعلو نصرهم . . . وافتتحها بميم " محمد " وهي مضمومة ،
وختمها بميم " عظيماً " المنصوبة إشارة بما للميم من الختام
بمخرجها إلى أن تمام الأمر قد دنا جداً إبانته ، وحضر زمانه ، وبما
في أولها من الضم إلى رفعه دائمة في حمد كثير ، وبما في آخرها من
النصب إلى تمام الفتح وانتشاره ، وقربه واشتهاره ، على وجه
عظيم ، وشرف في علو جسيم وأوماً تدويرها إلى أنه أمر لا انتهاء
له ، بل كلما ختم ابتداءً))^(١٠٤) .

(١٣) في ظلال القرآن، ٦/٣٣٣٣

(١٤) نظم الدرر، ٧/٢١٩

الخاتمة

عليه وسلم، فالصحابة رضوان الله عليهم بحسب تفاوت

مراتبهم في السبق إلى الإيمان ونصرة الحق .

٣- مثلت الآية أحسن ختام لسورة الفتح يلخص محورها

وينسجم معنوياً مع مطلعها الدائر حول تحقيق موعود الله

تعالى لرسوله وإمداده بنصره والرضوان لصحابته بأسلوب

رد العجز على الصدر، ومن جمال ذلك الختام الأحسن

أنها كانت في ختام سورة جاءت في ختام القرآن المطول

تحدث عن بشارات نصر الله تعالى للمؤمنين وبذلك

انسجمت مع ختم القرآن المفصل بذلك أيضاً، فضلاً عن

حسن ابتداء الآية، وحسن انتهائها .

٤- في الاسم الشريف (محمد) أسرار صوتية تمثلت بعدم

اشتماله على حروف العيب الكلامي واللدغ في

النطق، وحرف المد والعللة، فضلاً عن اشتماله على

حرفين خفيفين على اللسان عند النطق هما: الميم

والحاء، وقد تكررت الميم تسعة عشرة مرة عدا حرف

الميم في الاسم الشريف إغاضة للكفار الذين يكرهون

اسمه الشريف، والميم حرف شفوي وفيه غنة بما يشيع

جواً صوتياً يشتمل عذوبة الإيقاع وسلاسة الأداء .

الحمد لله الذي فضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على

المبعوث رحمة للعالمين ، وبعد: ففي نهاية مطاف البحث في هذه

الآية الكريمة القاطعة الجامعة المانعة في مضامينها ومغزاها يسجل

البحث أهم النتائج التي خرج بها ابتداء من أول الآية إلى آخرها

على المستويات كافة، المضمونية والدلالية والبلاغية المعنوية التركيبية

والبيانية التصويرية والتحسينية الصوتية والمعنوية إتماماً للفائدة :

١- الصورة العامة للآية من حيث الطول والقصر تسير على

طريقة الإطالة ولكن الأجزاء الأولى من التعبير القرآني عن

الوصف الإنجيلي للصحابة تتم في سرعة متعاقبة، وقد

جاءت صياغة القرآن لمضمون ما ورد في التوراة والإنجيل

في وصف الصحابة الكرام بشكل موجز في ألفاظه، غزير

في معناه، فاصل في دلالاته، جليل في تصويره .

٢- اشتملت الآية إضافة إلى الإعجاز البلاغي الإعجاز

العلمي في التعبير القرآني عن الوصف الإنجيلي للصحابة

بالزرع وتشبيه تكاثرهم بالتكاثر الحضري الذي يعطي

صفات متطابقة مع الأم، فأول الزرع هو الرسول صلى الله

تبعاً بإيمانهم ونصرهم للحق مع من أسلم بعد الحديبية أو بعد فتح مكة على خلاف بشرط إحسان الإتيان .

٨- المقصود بالكفار في الآية المعتدين الظالمين المحاربين لدين الله تعالى لا أهل الذمة، فالصحابه أرف الناس بهم تبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩- أرحح التوجيهات النحوية في الآية المتناسبة مع سياقها وأغراضها جعل الاسم الشريف (محمد) مبتدأ وخبره (رسول الله) ، لاشتماله على خصوصيات معنوية وافرة متناسبة مع السياق أكثر من جعله خبر مبتدأ محذوف ، وجعل جملة (والذين معه . . .) معطوفة على جملة (محمد رسول الله) ، وجعل (أشداء ، رحماء ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود) أخباراً عن (الذين) بدلاً من جعل (تراهم ، يبتغون) أحوالاً، للركاكة المعنوية، وتفكيك الانسجام والتناسب في الآية ، فضلاً عن أن الحال الأصل فيها الانتقال والتغير وهذه الصفات ثابتة متأصلة فيهم، وجعل قوله تعالى : (ومثلهم في الإنجيل) مبتدأ و(كرج) خبر لا أن يجعل (مثلهم في الإنجيل) معطوفاً على (مثلهم في

٥- ربطت الآية الرسول صلى الله عليه وسلم بالصحابة على نطاق التفضيل بشهادة الله تعالى لسيدنا محمد بالرسالة وللصحابه بالوفاء للحق الذي بعث به فقهاً وإتباعاً، فهم أفضل صحابة أو حوارين لأفضل رسول هو سيدنا محمد سيد أولي العزم من الرسل .

٦- المقصود ب(الذين معه) الصحابة جميعاً وإن تفاضلوا في السابقة، فالمقصود ابتداء منهم أصحاب بيعة الرضوان، لأنهم في أرض الحدث وفيهم نزلت الآية والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار خصوصاً والمهاجرون والأنصار عموماً ومن اتبعهم من الصحابة بإحسان بعد صلح الحديبية وبعد فتح مكة، لأن هذا هو المؤدى المعنوي الصريح والكنائي للظرف (معه) ويدخل التابعون بإحسان بعد الصحابة قياساً عليهم لأنهم لم يعاصروه ويصاحبوه ولو للحظة خلافاً لصاحب نظم الدرر الذي أدخلهم لفظاً في (الذين معه) .

٧- لا يدخل في المقصود ب(معه) في هذه الآية التابعون الذين اتقوا الصحابة دون الرسول صلى الله عليه وسلم خلافاً لما ذكر صاحب نظم الدرر وإن كانوا يدخلون ضمناً أو

١٥- أذى أسلوب الوصل في قوله تعالى: (أشداء على الكفار

رحماء بينهم) دوره في إعطاء دلالة اختلاط الشدة

والرحمة بالصلاة المبتغى بها وجه الله ورضوانه ، فهم في

حال شدتهم على عدوهم ورحمتهم بينهم يدأبون في

صلاتهم الخالصة لله تعالى .

١٦- المعنى الدقيق ل(مثلهم) في الآية الصفة العجيبة الدقيقة

للصحابة في التوراة والإنجيل .

١٧- جاء التعبير القرآني عن الوصف الإنجيلي للصحابة على

طريقة التشبيه التمثيلي القابل للتفكيك حسب معانيه

الجزئية إلى تشبيهات مفردة بكل ما فيه من عنفوان الأداء

وسعة المعاني .

١٨- في اختيار لفظة (الزرع) دون(الحراث) إشارة إلى الرعاية

والتعاهد الرباني للصحابة، لأن الزرع في حقيقته هو

الإنبات وهو خاص بالله تعالى ، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تُزْرَعُونَ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ .

١٩- تعاضد الجانب الصوتي مع معاني هذا التمثيل القرآني

للصحابة بالزرع العميق، إذ نجد في(شطأه) أن حرف

التقشي الشين و حرف القلقلة الطاء الساكنة ينسجمان

بتناغم مثير مع شدة تسارع المياه وقوة التزايد المبهر في

التوراة) و(كررع) خبر لمبتدأ محذوف، لأن ذلك فيه تقدير

وتكلف ويخالف بلاغة القرآن ونصاعة بيانه .

١٠- عبّر الأسلوب القرآني عن وصف الصحابة في التوراة

بأسلوب الخبر الابتدائي بطريقتين :أسلوب الجملة الأسمية

الدالة على الثبات والجملة الفعلية المضارعية الدالة على

التجدد والحدوث وكل تناسب مع المعنى الذي أراد

القرآن تبيينه من صفات الصحابة .

١١- قدم الوصف التوراتي لتقدمه زمنياً ، ولأنه يحقق انسجاماً

في التصوير القرآني بالانتقال من السمات الفردية للصحابة

إلى السمات المجتمعية .

١٢- ورد أسلوب الاحتراس في الآية في قوله تعالى : (رحماء

بينهم)حتى لا يتوهم شدتهم دوماً حتى على المؤمنين .

١٣- أدى أسلوب التقابل بين (أشداء على الكفار) و(رحماء

بينهم) دوره في بيان عمق الجمال والجلال والتوازن النفسي

للصحابة على مقتضى الإيمان .

١٤- إن الأسلوب القرآني التفت من الغيبة في ابتداء الآية إلى

الخطاب في (تراهم) تنوعاً في طرق العرض وتوجيهاً للتركيز

نحو صدق عبادتهم ثم عاد إلى مساره بضمائر الغيبة

في(يتبعون ،سيماهم) .

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

٢١- أفاد أسلوب الطباق (ركعاً سجداً) والجاز المرسل بإطلاق الجزء (الركوع والسجود الكثيرين) وإرادة الكل (الصلاة المحبوبة لهم) وجمع الكثرة (ركعاً سجداً) معاني التكثير المتوالي، وكأن فعل الركوع والسجود ديدنهم الثابت فهم في صلاة متى سنحت الفرصة وأحب شيء لهم فيها الركوع والسجود، لأن فيهما تمام معاني الخضوع لله تعالى والقرب منه .

٢٢- الراجح في حرف الجر (من) في قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) أنها تبعيضية والضمير (هم) يعود على (الكفار) في الآية ، ولكن شهد الله تعالى للصحابة رضوان الله عليهم بالإيمان الصادق والعمل الصالح والثبات على الحق في هذه الآية وغيرها .

المصادر والمراجع

أ- الكتب:

١- الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشهير بالقزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

هذا الزرع المبارك وحرف الهمس والصفير (السين) المنكرة بشكل متتابع في الكلمات (استغلط، استوى ، سوقه) ينسجم مع هسيس الرياح الذي يتداخل مع الزرع المتكاثف فضلاً عن تعضيد الهاء وصوتها الهامس في (شطأه ، آزره، سوقه) لهذا المعنى، وتنسجم الأصوات الهامسة مع معنى اللطافة وخفض الجناح ورقة الإيمان والرافة بينهم والرافة بالناس من خلال هدايتهم لهم، فتكاثرت الصحابة واشتداد أمرهم يسير بشكل متوازي مع هذه الأخلاق السامية والامتداد الصوتي في (الزراع) - فضلاً عن الوزن الصرفي - ينسجم مع الامتداد الصوتي في (الكفار) ووزنه الصرفي يشير إلى استمرارية الصراع بين الإيمان والكفر وشدته ، وتنتهي الآية بـ (عظيماً) ليكون تنكير التعظيم مع الامتداد بالألف إشارة إلى مدى عظمة هذا الأجر الرباني اللانهائي .

٢٠- أدى تعدد المدود في الآية، وتوحد الوزن الصرفي في (ركعاً سجداً) في التعبير القرآني عن الوصف التوراتي للصحابة تناسباً صوتياً مع عمق تأييدهم له صلى الله عليه وسلم و شدتهم على الكفار ورحمتهم بينهم وتناسق صلاتهم وخشوعها وجماله .

- ٢- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي(ت:٧٥٤هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.
- ٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة ، د.ط، ١٩٩٦م.
- ٤- تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة - الشارقة ومكتبة التابعين - القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- ٥- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ- بيروت، ط١، د.ت.
- ٦- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف - القاهرة ، ط١، د.ت.
- ٧- التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله محمد الجبوسي، دار الغوثاني - دمشق ، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ٨- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي- القاهرة ، د.ط، ١٩٧٠م.
- ٩- التفسير المظهر، القاضي محمد ثناء الله الهندي الحنفي(ت:١٢١٦هـ)، تحقيق: غلام نبي التونسي، المكتبة الرشدية - باكستان، د.ط، ١٩٩٠م.
- ١٠- ثراء المعنى البياني ، محمد خليل جيجك، دار السلام - القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م.
- ١١- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١٢- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د.محمد عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م.
- ١٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

– القاهرة، ط ١، ١٩٥٥م.

١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن

حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،

دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م.

٢٠- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى

بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت ٧٤٩هـ)، المكتبة العصرية-

بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٢١- الفصل والوصل في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)، د. منير

سلطان، منشورات منشأة المعارف- الإسكندرية ، ط ٢،

١٩٩٧م.

٢٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي-

بيروت، د. ط، ١٩٦٧م.

٢٣- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان الشهير

بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة

الخانجي – القاهرة، ط ٣، ١٩٨٣م.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب

الدين محمد بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت:

١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، ١٩٩٣م.

١٥- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن

مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:

٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، ط ١،

المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، ١٩٨٥م.

١٦- زاد المسير زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،

تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت،

ط ١، ١٩٩٩م.

١٧- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة

الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد

عبد القادر وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي –

القاهرة، ط ٢، ١٩٧٥م.

١٨- السيرة النبوية لابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن

أيوب المعافري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم

- ٢٤- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الشهير بابن منظور(ت:٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ٢٥- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح مهدي السامرائي، دار عمان للنشر - عمان، ط٣، ٢٠٠٣م.
- ٢٦- المجاز وأثره في الدرس اللغوي، د. محمد بدري عبد الجليل، دار المعرف الجامعية، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٢٧- مختصر السعد ضمن حاشية الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي(ت:١٢٣٠هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٢٨- مراح لبيد لكشف معني القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي(١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصاوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ٢٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشهير بالسيوطي(ت:٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- ٣٠- معجم الصوتيات، أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الإسلامية في ديوان الوقف السني - بغداد، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف بن أحمد الشهير بابن هشام الأنصاري(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- ٣٢- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي(ت:٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٣٣- مفاتيح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي،(ت:٦٢٦هـ)، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- ٣٤- منار الهدى في بيان الوقف والإبتداء، الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأشموني(ت:١١٠٠هـ)، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

د . عمار غانم محمد المولى: وصف الصحابة رضي الله . . .

ج- البحوث المنشورة على الشبكة العنكبوتية:

١- إعجاز اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

،يجبى بوشیخة ،موقع المنار

almnar.co.il/?mod=print&ID=18

<https://49>

٢- تغليب المذكر على المؤنث في الخطاب القرآني

دراسة في شبهة تمييز الرجل على المرأة، محمد أبو

زيد، ملتنقى أهل

vb.tafsir.net/tafsir/28376

٣- القرآن والنبات يشهدان بعدالة الصحابة، نظمي

خليل أبو العطا،

www.nazme.net/ar/index.php?

[p=show_articles&id=6](http://www.nazme.net/ar/index.php?p=show_articles&id=6)

٣٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن

حسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب

مهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

ب- الرسائل الجامعية :

١- التوجيه البياني في تفسير التحرير والتنوير، عمار غانم

محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية

التربية، بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد الستار عبد الله

صالح، ٢٠١١م

٢- اجاز المرسل في القرآن الكريم، علاقاته ودلالاته، ياسر

محمد أمين جميل، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية

الأدب، جامعة الموصل ، بإشراف : د. أحمد فتحي

رمضان، ٢٠٠١م.